حل الامتحان الوطني الموحد

الدورة الاستدراكية 2019 - شعبة الآداب و العلوم الإنسانية-مسلك العلوم الإنسانية

أولا : درس النصوص

القصة القصيرة شكل نثري حديث ظهر استجابةً للتحولات الحضارية والإعلامية والأدبية التي عرفها العالم بفعل تنامي حركية الحياة ونشاط الصحافة. ومع تنامي هذا الجنس الأدبي السردي، ظهرت دراسات نظرية عربية عملت على تتبع مقوماته، واستقصاء خصائصه. قيدَ الدرس والتحليل نص نظري لمحمد زغلول سلام مقتطف من كتابه «دراسات في القصة العربية الحديثة». ومن خلال القراءة الأولية لبدايات فقراته، يبدو أن هناك استهلالا بتعريف: «القصة حكاية تروي...»، وذكرا للمقومات (البيئة، الحدث، الزمن..)، الشيء الذي يدعونا إلى افتراض انكباب الدارس على خصائص القصة القصيرة، فما القضايا التي عالجها في نصه؟ وما الطريقة التي سلكها في هذه المعالجة؟

يعرف الكاتب القصة بأنها حكاية ترصد الحركة في عوالم الإنسان مثلما نلحظها في الواقع المعيش. إنها رصد للسلوكات في أدق تفاصيلها الخارجية والنفسية. ثم إنها، في نظره، بناء متراص يهدف إلى الإمتاع والإفادة. وللقصة مقومات تقوم عليها حسب الكاتب: هنالك البيئة أو المحيط الذي أنتجها سواءٌ أكان محيطا طبيعيا أم ظروفا اجتماعية. وهنالك الحدث الذي يقترن بالزمن، وهناك الشخصيات التي تدور حولها الأحداث. ولا بد لتنامي الأحداث من حبكة تضبطها، وتحدد مسارها. وأخيرا، هناك الحوار الذي قد يعلو على السرد والوصف في بعض الأعمال القصصية. إنه سبيل للتواصل بين الشخصيات، ولتنامي حبكة القصة.

ومن الأفكار البارزة في هذا النص النظري الوقوف على الإسهام الوازن الذي أتت به الرومانسية بخصوص الشخصية. فقد أولى هذا الاتجاه الفني أهمية كبرى للذات سواء أتعلق الأمر بالشعر أم الرواية أم القصة أم الرسم. ففي القصيدة تتغنى الذات بأساها، وترتمي في أحضان الطبيعة التي حلت محل الإنسان. وفي الرواية يتم تتبع مسارات الشخصيات التي تُعاني من واقع تعيس يقوم على الإحباط واليأس. أما في اللوحات فقد صارت الرسوم وسيلة للتعبير عن العواطف في خروج واضح عن مقومات المدرسة الكلاسيكية. وبالنظر إلى هذا الاهتمام، فقد حضرت الذات الإنسانية في الأعمال القصصية. هي ذات تصارع المجتمع من أجل إزالة الشرور التي غرستها النُظم في الناس. وهكذا تجاوزت المدرسة الرومانسية النظر إلى الشخصية من الخارج لولوج دواخلها، وسبر أغوارها.

ولتوضيح هذه الأفكار، وبسطها أمام القارئ وإقناعه بجدواها، عمد الكاتب إلى طرائق وأساليب مختلفة. فقد بدأ نصه بأسلوب من أساليب التفسير تمثل في التعريف، إذ استهل الدراسة بتعريف القصة. كما استند الكاتب إلى أسلوب التقسيم، فصدَّر الفقرات بالخصائص خصيصةً خصيصةً. تحدث عن الخصائص بشكل عام في الفقرة الثانية، ثم فصَّلها في باقي الفقرات. ثم إن الكاتب بانتهاج هذا الأسلوب في التقسيم، عمد إلى مسار استدلالي استنباطي انتقل فيه من العام (تعريف القصة) إلى الخاص (ذكر المقومات). من جهة أخرى، توسل الكاتب بلغة تقريرية مباشرة وملائمة لسياق نظري غير إبداعي. أضف إلى ذلك لائحة من المصطلحات أضفت على النص مسحة علمية مثل (البيئة، الحبكة، شخصيات مسطحة، شخصيات نامية). كل هذه الاختيارات الأسلوبية مثّلت طرائق في الاستدلال توسَّل بها الكاتب لمنح أفكاره مصداقية وقوة حجاجية.

وهكذا، فإن الكاتب انطلق من فرضية ضمنية تتمثل في السؤال عن ماهية القصة ومقوماتها، وبالتالي فإنه عمل على الإجابة باعتبار القصة نقلا لحركة في الواقع، وعمقا في تفاصيل هذه الحركة، استنادا إلى مقومات أجملها في البيئة والحدث والزمن والشخصية والحبكة والحوار. إن حضور الحبكة في العمل القصصي، يمكنه من التماسك والترابط المحكم. فالحدث، في نظر الكاتب، يُسَلِّمك إلى الحدث الذي يليه حتى تبلغ القصة مستقرها. ثم إنه لا قصة بدون حبكة تضبط وتيرتها سواءً أتعلق الأمر بتسلسل الحدث أم باسترجاعه أم باستشرافه أم بمزج بين هذه السيرورات.

إلا أنني أجد أن حديث الكاتب عن هذا النوع من الحبكات المتماسكة وذات الترابط النموذجي، يسقط من الاعتبار حبكات جديدة يبدو تماسكها بشكل أقل لا لضعف لدى المؤلف، وإنما رغبة منه في إشراك القارئ، ودفعه إلى إعادة إنتاج القصة.

ثانيا : درس المؤلفات

يصعب على المهتم بحركية الأدب العربي الحديث القفز على دراسة كالتي خطَّها قلم أحمد المعداوي المجاطي في دراسته بعنوان «ظاهرة الشعر الحديث». يتعلق الأمر بدراسة رائدة جمعت بين التحليل العلمي الدقيق، والمقاربة البيداغوجية المتمثلة في وضوح المباحث، والجمع بين التنظير والتظهير (الاشتغال على نماذج شعرية). وقد شطر الكاتب مباحث الكتاب إلى مضمون وشكل، فخصَّ المضمون بقضايا الغربة والحياة والموت، بينما خصَّ الشكل بدراسة مظاهر تكسير بنية الشعر القديم بالتركيز على البحور الشعرية والقافية. وجدير بالذكر كونُ هذه الدراسة كانت قريبة الصلة بالأوج الذي بلغته القصيدة الحديثة، إذ إن المجاطي الكاتب والشاعر قد عاصر الكثير من روادها.

لقد كان الدافع إلى البحث عن إيقاع جديد هو انحصار الأشكال القديمة، وعدم قدرتها على الاستجابة إلى تطلعات شاعر متمرد وثائر. وهكذا راح هذا باحثا عن أشكال جديدة أكثر مرونة وحيوية كالسطر والجملة الشعريين، والتدوير العروضي. وقد ثار الشاعر الحديث على مستوى القافية المنحصرة أيضا، فراح يوظف القافية المرنة التي لا ترتبط بالضرورة بنهاية السطر، الشيء الذي يمنح الشاعر الحرية والتصرف. كما أن الشاعر الحديث استغنى عن ضرورة البروز المتتالي لحرف الروي، لأن ذلك يُعرقل انسياب الدفقات الشعورية، ولأنه بمثابة ضوء أحمر يَفرض على الشاعر الوقوفَ. صار الشاعر يقف متى شاءت دفقاته ذلك.

وفي دراسة المجاطي للبنية الإيقاعية للشعر العربي الحديث، اعتمد مقاربة منهجية أسلوبية بنيوية تقوم على استخلاص المقومات الشكلية، ومدى تجديدها لدى الشعراء المجددين. كما اعتمد مقاربة تجمع بين التنظير والتظهير، بمعنى أن الكاتب يُرسل الفكرة، ويعمل على التمثيل لها بما يُلائم من شعر شعراء التفعيلة. أما في غير هذا المبحث من الكتاب، فنجد تنوع المقاربات بين التاريخ وعلم النفس والتحليل استنادا إلى الأساطير.

يظهر، إذن، أن أحمد المعداوي المجاطي قد سعى إلى الإحاطة في النظر إلى ظاهرة اعتُبرت في زمنه جديدا إبداعيا، وأنه ركَّز على القافية وباقي التجديدات الإيقاعية الأخرى، مقدما بذلك خدمة كبرى لقراء قد يجدون صعوبة في التعامل مع هذا الضرب من الشعر.